الفصل الخامس

فن وأدب الحوار فى الشريعة الإسلامية.

- نشأة الحوار وأسباب انتشاره.
- حوار الخالق مع بعض المخلوقات.
- قواعد الحوار وخصائصه فى الإسلام.
- منهج الحوار فى القرآن الكريم وشروطه.
- أساليب الحوار فى القرآن والسنة.
- آداب الحوار وقواعد الاختلاف.
- شرعية الاختلاف والحوار فى الإسلام.
- أخلاقيات الأسلوب فى الحوار الدينى.
- آداب الحوار فى الإسلام.
- أهم ضوابط الحوار فى الإسلام.. وأسسه.

obeikandl.com

obeikandl.com

فن وأدب الحوار فى الشريعة الإسلامية

نزلت الأديان لتصحيح مسار البشرية كلما ضلت سبلها وتقويم المعوج من الفطرة القويمة كلما أصابها الإفساد وضبط حركة الأحياء والحياة وتقنين العلاقات وإحكامها فى صورتها المتوازنة التى تتمتع بالبقاء والمرونة مع تطور حركة المجتمعات دون أن تعرف نهاية للصلاحية.

وقد جاء الإسلام ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية والوثنية وشريعة الغزو والبطش وقهر الآخر إلى نور الهداية واحترام العقل واحترام حرية الإنسان وتقدير حقه فى الحياة والحوار والفكر، فكان الخطاب الدينى من قبل رسول البشرية الأعظم ﷺ داعيًا إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة وجادل أهل الكتاب بالحسنى. وتحتاج المجتمعات اليوم إلى تفعيل هذا الخطاب كما فعله الرسول فى حجة الوداع يوم قدم للبشرية قانونًا شاملًا يبدأ من تحديد علاقة الرجل بالمرأة وينتهى عند حدود سياسة الراعى مع الرعية ومرورًا بعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان عبر تنظيم قضية الثأر والربا والأحكام وغيرها، من مشكلات الحياة التى قدمها الخطاب النبوى فى لغة بليغة واضحة وموجزة كشفت جانبًا من جوامع الكلم وحددت موقع سنته الشريفة من حقيقة التشريع الدينى القويم.

ويمثل نموذج الخير فى القصة القرآنية شخصية كل نبى من أنبياء الله ورسله الذين ذكرهم القرآن الكريم ومن دعا بدعوتهم وسار على نهجهم وتتسم الشخصية الخيرة فى القصة القرآنية بمجموعة من السمات منها: الصدق، والصبر، وبر الوالدين، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر والإصلاح والورع والامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه والعفة والشرف.

والإسلام ينظر نظرة إسلامية لآداب الحوار فلا يوجد إيمان من دون حوار لأن الإيمان يبدأ من حديث الإنسان مع ذاته فى حركة التفكير الداخلى حيث يدور الجدل بين احتمال واحتمال وفكره وفكره بين النفس تارة والإثبات تارة أخرى.

ويحث الإسلام على فن الحوار أى الكلام الرقيق الذى يدل على التفاهم والتفاوض والتجانس. إن الإسلام قدم من المبادئ السامية والآداب العالمية والهدايات الرفيعة ما ينظم هذه الخلافات والمحاورات والمناظرات التى تحدث بين الناس وما يجعلها تدور فى إطار من المنطق السليم والفكر القويم والجدال بالتى هى أحسن مما يجعل هدفها الوصول إلى الحق والخير ومنفعة الناس فى حدود ما أحلة الله تعالى لهم.

نشأة الحوار وأسباب انتشاره

نشأة الحوار:

إن الإنسان بطبعه اجتماعى، لأنه يميل إلى الاجتماع بغيره من بنى جنسه لاحتياجه إليه، ولا يعرف كل منهما مراد صاحبه إلا بالحوار والبيان، لكون الحوار والجدل ضربًا من ضروب البيان، وهو قديم فى الخليقة وسيظل باقيًا إلى يوم الدين ما دام هناك عقل ومعتقدات وقضايا وتباين فى الآراء والميول والأهداف.

ويعتبر الحوار والجدل ظاهرة عالمية لوجوده فى غير الأجناس البشرية كالملائكة والجن، وقد جعل الله تعالى الإنسان مفكرًا وناطقًا وهذا يدفعه إلى الإفصاح عما فى داخله من أفكار وخاصة فى مواقف الحوار الذى يقوم على برهنة أو معارضة، وكل ذلك موجود فى فطرة الإنسان، ولا يمكن أن يخلو بشر عنده القدرة على البيان من الحوار والجدل، لأنه يعبر عما فى نفسه من بيان بصرف النظر عن طبيعة هذا البيان وبواعثه، لأن النفس البشرية مجبورة على حب الدفاع عنها، وتقرير مطالبها.

إن تفاوت العقول واختلاف الآراء والأفكار والملل والأجناس له أثر فعال فيما يجرى بين الناس من حوارات ومناظرات وجدل؛ لما يجيش فى النفس من تأثيرات وأحاسيس لإظهار مبدأ أو نصرة حق أو تصحيح خطأ أو غير ذلك مما نشأت عليه النفوس البشرية، وبأى دافع كان هذا الحوار، فالجدل ضرورة حتمية لأنه طبيعة فى الفطرة الإنسانية.

إن وجود الإنسان نفسه دفع الملائكة للتساؤل عندما أخبرهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

ولذلك يعتبر أول من سن الجدال الملائكة وأول من أظهر الخلاف وركب العناد إبليس اللعين. واستمر الحوار والجدل ولم يتوقف بين بنى آدم أنفسهم من يوم أن هبط

آدم إلى الأرض، وأرسل الله الرسل وأنزل الكتب والناس فى حوار وجدل حول كثير من القضايا، والجدل الإنسانى موجود بوجود الإنسان، وكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقفون مواقف مشرفة فى تبليغ رسالات ربهم مهما لاقوا من أقوامهم من أذى، ثم بعث محمد ﷺ فى قوم بلغ البيان العربى فيهم ذروته، ومارسوا ضروبًا من البلاغة والخصومة الشديده، فكان لا بد من مواجهتها بالحجة والبرهان.

أما الجدل والحوار فى البيئة الإسلامية، فقد ظل فى عهد الصحابة والتابعين مقصورًا على ما تدعو إليه الحاجة من تبيان الحق ودفع الشبه وترجيح الأدلة فى الاجتهادات الفقهية. ويستمر الحوار والجدل ما دام هناك عقول تفكر وآراء تختلف وأفكار تتوارد وعقائد تستورد، وقد ظهر هذا بوضوح عند انتشار الشيوعية والعلمانية والعولمة حيث تصدى لهذه المعتقدات والأفكار البعض فبينوا زيفها وبطلانها، وسيبقى الدفاع عن الحق ضد الباطل مستمرًا حتى قيام الساعة.

أسباب انتشار الحوار

تعددت الأسباب التى أدت إلى انتشار الحوار فى بلاد المسلمين ـ والتى ذكرها العلماء ـ وتتمثل فى الآتى:

١- الشبهات والشكوك التى يلقيها بعض المشركين والمنافقين، وكذلك اليهود والنصارى والعلمانيين وغيرهم بقصد الطعن فى الدين الإسلامى، مما دفع علماء الإسلام للتصدى لهم ببيان زيف ما يدعون.

٢- انتشار الفتح الإسلامى، ودخول كثير من الأمم ذات العقائد المختلفة فى حوزة الدولة الإسلامية، وسريان كثير من رواسب تلك الأمم إلى المسلمين بحكم الجوار والمخالطة.

٣- الاختلاط بالأمم الأعجمية، ودخول كثير من هذه الأمم فى الدين الإسلامى.

٤- ورد بعض النصوص من القرآن الكريم والسنة المطهرة التى توهم بظاهرها خلاف ما هو معلوم ومتفق عليه بين السلف فتحتاج إلى تفسير وتأويل.

٥- ميل بعض العقول إلى الترف العقلى بالبحث فيما يعرض من مبهم أو مشكل، واختيار المسائل التى تثيرها دواعى السياسة والاجتماع.

٦- التعرض لبحث كثير من المسائل التى ليس باستطاعة العقل البشرى الوصول إليها منفردًا عن الشرع كالغيبيات.

٧- اختلاف المدارك: حيث تختلف طبيعة عقول الناس وفهمها من شخص لآخر.

٨- انتشار مجالس القصص فى المدن الإسلامية، مما فتح السبيل للناس فى تناول المشكلات الطارئة، وامتحان المسائل، والرغبة فى معرفة حكمة الدين، فأقبل الناس على هذه المجالس، واستمعوا إلى القصص، وجادلوا القصاصون فيما يقولون، وبالتالى قويت عندهم ملكة البحث والحوار والمناظرة.

كل هذه الأسباب نشطت العقول، وهيأتها للحوار فيما عرض عليها من مسائل دينية أو سياسية أو اجتماعية.

حوار الخالق مع بعض المخلوقات

حوار الله تعالى مع الملائكة:

من تلك النماذج ما وجهه سبحانه إلى الملائكة الكرام من أقوال وما قالوه فى الرد على خالقهم عز وجل كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠ ـ ٣٣].

أى أن الله سبحانه وتعالى قال لملائكته بكيفية لا يعلمها إلا هو، إنى جاعل فى الأرض خليفة هو آدم وذريته، لكى يعمروا هذه الأرض، وينشروا فيها ما ينفعهم. وخطاب الله تعالى لملائكته بأنه سيجعل فى الأرض خليفة، ليس المقصود هنا به المشورة، وإنما خاطبهم بذلك من أجل ما ترتب عليه من سؤالهم عن وجهه الحكمة من هذه الخلافة، وما أجابوا به بعد ذلك أو من أجل تعليم العباد المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها، وعرضها على ثقاتهم وعقلائهم، وإن كان هو سبحانه بعلمه وحكمته البالغة غنيًّا عن المشاورة.

قال الإمام بن كثير "قول الملائكة هذا ليس اعتراض على وجه الله ولا على وجه الحسد لبنى آدم ولكن استعلام واستكشاف عن الحكمة فى ذلك يقولون يا ربنا ما الحكمة فى خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد فى الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، وقدرت الله تعالى عليهم بما يوافقهم عند حدود الأدب الكامل واللائق بمقام الخالق فقال إنى أعلم ما لا تعلمون أنتم من شئون خلقى، ومن عجائب ملكوتى.

حوار الله تعالى مع رسله :

ومن الأدب السامى فى الحوار ما حكاه القرآن الكريم من أن الله تعالى يسأل رسله الكرام يوم القيامة وهو العليم بكل شىء فيقول لهم: ماذا كان جواب أقوامكم لكم عندما دعوتموهم إلى إخلاص العباد لى وحدى؟ واستمع إلى القرآن الكريم وهو يقص علينا ذلك بأسلوبه البليغ الحكيم فيقول: ﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾[سورة المائدة: ١٠٩].

الشرح: وخص سبحانه الرسل وحدهم بالذكر مع أنهم وغيرهم سيجمعون للحساب يوم القيامة، لإظهار شرفهم، وللإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بجمع غيرهم من الأقوام، لأن هؤلاء الأقوام إنما هم تبع لهم وقال سبحانه ﴿ **مَاذَا أُجِبْتُمْ** ﴾ ولم يقل هل بلغتم رسالتى أم لا؟ للإشعار بأن الرسل الكرام قد بلغوا الرسالة التى كلفهم بها خالقهم على أكمل وجه وأن الذين خالفوهم من أقوامهم سيتحملون مخالفتهم يوم القيامة.

حوار الله تعالى مع إبراهيم :

وإليك محاورة دارت مع إبراهيم عليه السلام وبين خالقه سبحانه وتعالى وهى تدل على كمال قدرة الله تعالى وعلى محبته لإبراهيم عليه السلام للوصول إلى أعمق درجات الإيمان، وقد حكى القرآن هذه المحاورة فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

الشرح: وقد ذكر المفسرون لسؤال إبراهيم هذا ربه أسبابًا منها: إنه لما قال للنمرود "ربى الذى يحيى ويميت"، أحب أن يترقى بأن يرى ذلك مشاهده ففى قوله "رب"

تصريح بكمال أدابه مع خالقه فهو قبل أن يسأله يستعطفه ويعترف له بالربوبية الحقة، وبالإلوهية التامة.

وهذه الآية تدل على وجود حوار بين الله والإنسان:

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩].

وهناك آيات تدل على وجود حوار بين الله وإبليس:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١١-١٥].

وهناك آيات تدل على وجود حوار بين الملائكة والناس:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [سورة مريم: ١٦-٢٠].

وهناك آية تدل على وجود حوار بين الإنسان والإنسان:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٧].

وهناك عدة آيات تدل على وجود حوار بين الإنسان والطير:

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾[سورة النمل: ٢٠-٢٢].

وهناك العديد من الآيات تدل على تنوع الموضوعات والانتقال من موضوع لآخر:

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[سورة الكهف: ٦٥-٧٠].

ولقد ساق لنا القرآن الكريم والأحاديث النبوية أيضًا الكثير والكثير من حوار الرسل مع أقوامهم.

فهذا سيدنا نوح يقول لقومه:

قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾.

نرى فى الآية الكريمة السابقة حوار سيدنا نوح مع قومه دون تعصب ولكن بهدوء وهو من هو نبى الله وهؤلاء أعداء الله ورغم ذلك تكلم معهم باللين والرفق وحاورهم بطريقة مهذبة.

وهذا سيدنا هود يقول لقومه:

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾.

هنا سيدنا هود حاور قومة بالحكمة وطلب منهم أن يستغفروا ربهم ويعودوا إليه ثم بعد ذلك ذكر لهم فائدة هذا الذكر والتسبيح موضحًا لهم هبوط المطر عليهم والزيادة فى قوتهم.

وهذا سيدنا إبراهيم نراه يحاور قومه فى مواطن متعددة من القرآن الكريم منها:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾[سورة الشعراء: ٦٩-٧١].

وأيضًا طلب الله من سيدنا موسى عندما أرسله إلى فرعون:

﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [سورة البقرة: ٨٣]

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [سورة طه: ٤٤]

﴿ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠]

وأيضًا هناك محاورات التى دارت بين أهل الجنة وأهل النار:

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[سورة الأعراف: ٤٤].

نجد هذا الحوار بين أهل الجنة وأهل النار، ولكن لا تعدى من أهل الجنة على أهل النار أو الشماتة أو السخرية منهم.

كذلك هناك الوان من المحاورات التى دارت بين الأشرار فيما بينهم:

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٨].

وأيضًا هذا حوار حول اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب وحساب:

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[سورة الإسراء: ٤٩].

ويرد عليهم القرآن الكريم قائلا: ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[سورة الإسراء: ٥٠-٥١].

كما ساق لنا القرآن الكريم ألوانا من المحاورات مع الملائكة ومع الرسل الكرام.. مع المشركين.. ومع المنافقين.. مع أهل الكتاب.

بل ساق القرآن الكريم حوارًا أيضًا لسور شتى حتى مع إبليس اللعين:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[سورة الأعراف: ١١-١٢].

ومن الأحاديث النبوية فى آداب الحوار ما يلى:

- فى حديث عن أبى هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو يصمت).
- قال رسول الله ﷺ (أنا زعيم بيت فى رياض الجنة ما يحيط بها خارجا عنها لمن ترك المراء وإن كان محق فيه) رواه داود بإسناد صحيح.
- يقول رسولنا الكريم ﷺ: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالًا إلا تهوى به فى جهنم سبعين خريفًا).
- (من دعا رجلًا بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه) ــ رواه مسلم معنى حار عليه أى رجع عليه الكفر أى أن مادة الحوار فى الأحاديث النبوية بمعنى الرجوع.
- (لا تباغضوا ولا تظلموا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله ولا يحل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام) ـ رواه مالك.

معنى الحديث الشريف أن المسلم لا يتكلم بسوء عن أخوه المسلم ولا يظلم أخوه المسلم ولا يحسده وأن الله يأمرنا أن نكون أخوة وأننا إذا تخاصمنا نتيجة أى اختلاف فى الحوار فلا يهجره أكثر من ثلاثة أيام.

- (لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) يقول رسول الله إننا إذا تحاورنا لا نختلف كالذين من قبلنا اختلفوا فهلكوا.
- (لا ترجعوا بعدى كفارًا. يضرب بعضكم رقاب بعض) ــ عن جرير وابن عمر. أى أنه عندما نتفاهم أو نختلف فى حوارنا أن نضرب بعضنا لبعض أو نتخاصم ونتشاجر.

خصائص الحوار فى الإسلام

١ - الانفتاح:

استوعبت الثقافة الإسلامية ثقافات كل الأمم التى انضمت تحت لوائها من أصحاب الديانات والملل التى انضمت فى الكيان العربى الإسلامى وانتشرت هذه الثقافة التى تكيفت معها الثقافة المحلية فاستوعبت ثقافتها وتقاليدها وعاداتها والانفتاح والتراث الثقافى غير المحدود.

٢- القــوة:

الثقافة الإسلامية تتميز بالقوة والصمود لأنها تنتمى إلى مصادر قوية ومبادئ ثابتة لأنها ثقافة حوار وتواصل تميزت بالانفتاح والانسجام والأخذ والعطاء.

٣- التدافـع:

ثقافة التدافع هى الثقافة التى تعبر عن طبيعة النفس البشرية والفطرة الإنسانية وترتبط بظاهرة الضعف والخمول وليس بالظاهرة القوية والحيوية التى تميز الثقافة الإسلامية.

٤- التغيير:

منذ أن جاء الإسلام والتغيير سنة خصائصه والثقافة هى وسيلة تغيير النفوس والأفكار داخل النفس البشرية والمجتمع البشرى.

٥- السببية:

الأخذ بالأسباب من السنة الإلهية المثبوته فى الكون والمقررة فى الحياة فالقرآن الكريم حدثنا أن الله خلق هذا الكون ووضع له السنة والقوانين ما يحقق استقراره واستمراره لأن الله سبحانه وتعالى يريد من خلقه أن يراعوا هذه السنة لما كرم صناعة حمل الملائكة لعرشه.

منهج الحوار فى القرآن الكريم وشروطه

لقد اعتبر الإسلام الحوار قاعدته الأساسية فى دعوة الناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وكذا فى كل قضايا الخلاف بينه وبين أعدائه وكما أنه لا مقدسات فى الحوار إذ لا يمكن أن يغلق باب من أبواب المعرفة أمام الإنسان.

وتنطلق رحلة المنهج الحوارى فى القرآن من بداياته الأولى حيث لا بد من أن يتكافأ الطرفان من حيث الاستعدادات النفسية وامتلاك القدرة على الحوار ويلتزم الأطراف بالخضوع لما يكشف عن الحوار من حقائق.. فإذا تم فإما أن يصل الأطراف إلى نتيجة واحدة فيكون قد نجح وإما أن يقتنع أحد الطرفين أو أن يعاند وعندما ينتهى الحوار إلى هذه النتيجة فللمسلم رسالة يختم بها حواره تتمثل بتذكير الطرف الآخر بأنه مسئول عما وصل إليه. وفيما يلى عناوين لتفاصيل قرآنية حول الحوار:

١- **امتلاك الحرية الفكرية**: لا بد لكى يبدأ الحوار أن يمتلك أطرافه حرية الحركة الفكرية التى يرافقها ثقة الفرد بشخصيته الفكرية المستقلة.

٢- **مناقشة منهج التفكير**: فإذا امتلك أطراف الحوار الحرية الكاملة فأول ما يناقش فيه هو المنهج الفكرى ـ قبل المناقشة فى طبيعة الفكر.

٣- **الابتعاد عن الأجواء الانفعالية**: من عوامل نجاح الحوار أن يتم فى الأجواء الهادئة ليبتعد التفكير فيها عن الأجواء الانفعالية التى تبعد الإنسان عن الوقوف مع نفسه وفقد التأمل والتفكير.

٤- **تسليم بإمكانية صواب الخصم**: ولا بد لانطلاق الحوار من التسليم الجدلى بأن الخصم قد يكون على حق.

٥- **التعهد والالتزام باتباع الحق**: لا بد من التعهد باتباع الحق إن ظهر على يديه حتى ولو كان التعهد باتباع ما هو باطل أو خرافة إذا أثبت أنه على حق.

٦- **الانضباط بالقواعد المنطقية فى مناقشة موضع الاختلاف**: فإذا تم الالتزام بهذه الأسس فإن الحوار ينطلق معتمدًا على قواعد العقل والمنطق والحكمة والموعظة الحسنة.

٧- **ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج**: إذا سار الحوار جادًا وفق هذا المنهج من قبل جميع الأطراف فلا بد أن يصلوا جميعًا إلى ما التزموا به فى بداية الحوار.

٨- **التأكيد على استقلالية الكل ومسئوليتهم عن فكرهم**: قبل الانفصال بين المتحاورين يتم التأكيد على استقلالية الكل ومسئوليته عن نفسه ومصيره.

٩- **الإشهاد على المبدأ وعدم تتبع الأخطاء الناتجة عن الانفعال أثناء الحوار**: وفى آخر الحوار يتم إشهادهم على المبدأ والتمسك به ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[سورة آل عمران: ٦٤].

الحوار مع المشركين نموذجًا:

وصف القرآن حالة المشركين تجاه الرسول ﷺ حيث كان موقفهم انفعاليًّا فجعلوا يردون بألسنتهم والتعجب ليتركوا أنفسهم من عناء التفكير ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

إن ممارسة الحوار مع الآخرين ليس هدفًا فى ذاته إنما الهدف من ورائه هو تحقيق التواصل والتقارب، كما أن الحوار الذى لا يلتزم بشروط موضوعية لا يحقق النتيجة المرجوة منه، بل على العكس قد يؤدى إلى التنافر والتباعد. وهذه هى الشروط الضرورية للحوار الناجح:

١- **الإيمان بوجود الآخر**: إذا أردت أن تحاور طرفًا معينًا فإن ذلك يقتضى بأن تؤمن بأن له وجودًا وكيانًا، إذ إنه من الاستهانة أن تتعامل مع فرد أو جهة على أساس أنها تمثل ثقلًا معينًا، وأنت تشعر فى قرارة نفسك بعكس ذلك ومهما حاولت إخفاء ذلك الشعور السلبى، فسوف يبرز بشكل إرادى أو غير إرادى، وعند ذلك يؤدى إلى ردة فعل سلبية من الطرف الآخر، وربما يؤدى إلى القطعية، فضلًا عن أن التعامل مع الناس بهذا الأسلوب يتنافى مع مبادئ الأخلاق الإسلامية.

٢- **التعرف على الآخر**: إن من مقتضيات الحوار والتواصل أن تتعرف على ما تريد محاورته، لأن سعيك للتعارف يحقق مجموعة من المصالح تدعم قضية الحوار وتحقق ثمرته فالتعارف من جانبك يشعر الطرف الآخر باهتمامك به، وبالتالى بتواضعك وعدم تعاليك على من تحاوره، وقد أشار القرآن الكريم لهذا المعنى، فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾.

٣- **التعارف يساعدك على اكتشاف الآخر**: وبالتالى اختيار أفضل الأساليب والطرق للتواصل معه، وتجنب كل ما من شأنه أن يثيره أو يجعله يقع فى ردود أفعال سلبية، وقد يقع الإنسان فى إساءة غيره من غير قصد منه بسبب مصادمته بعبارة أو طريقة غير مناسبة لم يحسب لها حسابًا ولم يراع فيها خصوصيات من يخاطبه، وفى ضوء هذا تفهم التوجيه النبوى القائل: "خاطبوا الناس على قدر عقولهم" "أتريدون أن يكذب الله ورسوله".

أساليب الحوار فى القرآن والسنة

من خلال استقراء أساليب الحوار فى القرآن والسنة.. نجد أن هناك عددًا من أساليب الحوار منها ما يلى:

١- **الأسلوب الوصفى التصويرى**: يعرض قصصًا ومشاهد حوارية واقعية، يهدف

إلى تبسيط الفكرة وتقريب المستمع من الحوار الجارى، وحمله على تبنى موقف صحيح.

مثال حوار موسى عليه السلام لفرعون: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[سورة الشعراء: ٢٣-٢٨].

٢- **الأسلوب القائم على الحجة والبرهان:** هو يعتمد على الحجة والبرهان لدحض ادعاءات المنكرين للتوحيد والبعث بأسئلة تتوخى زعزعة تقاليدهم ومعتقداتهم الباطلة، وتهدف إلى توجيههم للنظر والتفكير فى آيات الله من أجل بناء قناعات ومواقف صحيحة.

مثال قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[سورة الأنبياء: ٦٦-٦٧].

أساليب الحوار فى السنة:

- **الأسلوب الوصفى:** مثال حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ: "أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا، ما تقول ذلك يُبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئًا. قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو بها الله الخطايا" رواه البخارى.
- **الحوار الاستدلالى الاستقرائى:** يعتمد استجواب المحاور والتدرج معه، من المسلمات إلى الحقائق الكلية، التى ترفع اللبس، وليصل المحاور لاستنتاج الحل بنفسه. مثال: حديث الرجل الذى أراد أن ينفى ولده، لأنه جاء أسود اللون. وقول الرسول الكريم له: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: فما لونها؟ قال: سود، قال: هى فيها من أورقه؟ قال: فأنى له ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عرق.
- **الحوار التشخيصى الاستنتاجى:** يعتمد عرض المشكلة لإثارة الانتباه وتحفيز

الفكر. مثال: سؤال الرسول ﷺ للصحابة عن شجرة لا يسقط ورقها (النخلة)، وهى مثل المسلم... إلخ الحديث.

ومن أساليب الحوار المثمر كما ذكرها بعض العلماء ما يلى:

أولًا: الدعوة السرية (الحوار الفردى):

الدعوة الفردية هى أوقع فى النفس وأبلغ فى التأثير حيث التجديد للحق والبعد عن المؤثرات الخارجية من الملأ والعلنية.

ثانيًا: الدعوة الجهرية نهارًا (الحوار الجماعى).

ثالثًا: أسلوب الترغيب والترهيب.

رابعًا: الذكر بأنعم الله.

خامسًا: الحوار عن طريق السؤال.

وهو أن يلتزم المحاور أو الداعية عن طريق طرح أسئلة والإجابة عليها أثناء التحدث إلى الناس.

سادسًا: التدرج مع الخصم والانتقال به من الشك إلى اليقين:

يقول أحد العلماء: أن الحوار محرك للأحداث ومصور للشخصيات ومؤد إلى الهدف ومظهر المعنى وبالحوار المباشر أحيانًا غير مباشر أحيانًا أخرى والمتسلسل الذى لا يترك أمرًا إلا وتحدث به ومن طبيعته الحوار بمجمله وعلى مختلف خروجه هو أنه لا يوضع على لسان الشخصيات وإنما ينطلق انطلاقًا طبيعيًّا دون أن يحس القارئ بشىء من أثار الصيغة والتكلف. فأسلوب الحوار هو أسلوب القرآن الكريم ذاته إذا لا يهبط فى ناحية ويسمو فى أخرى تبعًا لاختلاف الظروف والشخصيات ومستوى الأداء عند الكتاب العاديين من البشر.

آداب الحوار وقواعد الاختلاف

عالج الحوار قضية الاختلاف من خلال كشفه عن مواطن الاتفاق والاختلاف لتكون محل النقاش والجدل بالتى هى أحسن لمعرفة ما هو أقوم للجميع؛ ولا بد ليؤدى الحوار وظيفته كما يجب من أن ينضبط بمنهج يضمن عدم تحوله إلى مثار جديد للاختلاف. إذا أرشدنا القرآن إلى أن الاختلاف حقيقة وواقع، ودعانا إلى التعامل مع هذه الحقيقة من خلال الحوار، فما هو المنهج الذى رسمه القرآن لذلك؟ لقد اعتبر

الإسلام الحوار قاعدته الأساسية فى دعوته للناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وكذا فى كل قضايا الخلاف بينه وبين أعدائه، وكما أنه لا مقدسات فى التفكير، كذلك لا مقدسات فى الحوار إذ لا يمكن أن يُغلق باب من أبواب المعرفة أمام الإنسان، لأن الله جعل ذلك وحده هو الحجة على الإنسان فى الطريق الواسع الممتد أمامه فى كل المجالات المتصلة بالله والحياة والإنسان.

وقد أكد القرآن هذا المبدأ بطرق عديدة فعرض القرآن لحوار الله مع خلقه بواسطة الرسل، وكذا مع الملائكة ومع إبليس، رغم أنه يمتلك القوة ويكفيه أن يكون له الأمر وعليهم الطاعة، كما أنَّ دعوات الرسل كلها كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم، وقد أطال القرآن فى عرض كثير من إحداثيات هذه بالحوارات بين الرسل وأقوامهم، ولم يشجب القرآن فى هذا الباب موقفًا كما شجب موقف رفض الحوار والإصرار على عدم ممارسته:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [سورة الجاثية: ٧-٩].

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [سورة فصلت: ٥].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[سورة لقمان: ٥-٧].

الاختلاف لا يعنى معنى المنازعة:

إن الاختلاف لا يعنى معنى المنازعة، وإنما المراد منه أن تختلف الوسيلة مع كون الهدف واحدًا، وهو مغاير للخلاف الذى ينطوى على معنى الشقاق والنزاع والتباين فى الرأى دون دليل، وقد أوضح العلماء الفرق بين الاختلاف والخلاف فى أربعة أمور:

١- الاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفًا، والمقصود واحدًا، والخلاف هو أن يكون الطريق والمقصود كلاهما مختلفين.

٢- الاختلاف من آثار الرحمة والخلاف من آثار البدعة.

٣- الاختلاف ما يستند إلى دليل والخلاف ما لا يستند إلى دليل.

٤- ولو حكم القاضى بالخلاف، ورفع لغيره يجوز فسحه بخلاف الاختلاف، فإن الخلاف هو ما وقع فى محل لا يجوز فيه الاجتهاد، وهو ما كان مخالفًا للكتاب والسنة والإجماع.

قال ابن العربى عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥]. لتفرق المنهى عنه يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: التفرق فى العقائد.

الثانى: قوله ﷺ "لا تحاسدوا ولا تدابروا" أى التفرق فى القلوب.

الثالث: ترك التخطئة فى الفرع والتبرى فيها، فإن الكل بحبل الله معتصم، وبدليله عامل، وقد قال عليه الصلاة والسلام "لا يصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة"، فمنهم من حضر العصر فأخرها حتى بلغ بنى قريظة، أخذًا بظاهر قول النبى ﷺ، ومنهم من قال لم يرد هذا منا، يعنى وإنما أراد الاستعجال، فلم يعنف النبى عليه الصلاة والسلام أحدًا منهم. والحكمة فى ذلك أن الاختلاف والتفرق المنهى عنه، وإنما هو المؤدى إلى الفتنة والتعصب وتشتيت الجماعة. فأما الاختلاف فى الفروع فهو من محاسن الشريعة، قال النبى عليه الصلاة وتشتيت الجماعة. فأما الاختلاف فى الفروع فهو من محاسن الشريعة، قال النبى عليه الصلاة والسلام "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، وروى، أن له إن أصاب عشر أجور".

أسباب الاختلاف:

والاختلاف بين الناس فى القضايا الدينية أو الدنيوية، له أسباب متعددة وبواعث متنوعة، منها: الظاهر الواضح، ومنها الباطن الخفى.

ومن أسباب الاختلاف بين الناس:

١- عدم وضوح الرؤية للموضوع من كل جوانبه فهذا فهمه من زاوية معينة وآخر فهمه من زاوية أخرى، وثالث فهمه من جهة تختلف عن جهتى الأول والثانى.

٢- تقليد الآخرين دون دليل أو برهان: وأنت تقرأ القرآن الكريم، فتجد كثيرًا من

آياته، تنعى على الغافلين والجاهلين الضالين عكوفهم على تقليد سواهم من الآباء أو من الرؤساء.

٣- التعصب للرأى والحسد للآخر على ما أتاه الله من فضله، والحرص على المنافع الخاصة، دون التفات إلى سواها، والانقياد للهوى، ولتطلعات النفس الأمارة بالسوء.

وكل من يدقق النظر فى أكثر الخلافات التى دبت بين البشر قديمًا وحديثًا يرى معظمها مرده إلى هذه الأسباب. وإن كثيرًا من الخلافات التى تدور بين الناس، مردها إلى عدم فهم الموضوع من كل جوانبه، أو إلى التقليد العقيم أو إلى التعصب الذميم، أو إلى الانقياد للهوى والمنافع الخاصة.

الطريق إلى تفكير الناس:

"إذا أثار غضبك وتفوهت بكلمة ستجد الوقت ملائمًا لتفريغ غيظك".

- قال ويلبسون "إذا جئتنى وقبضتك منكمشة أعدك أن قبضتى ستكون أشد من قبضتك وإذا جئتنى تقول: دعنا نجلس ونتحادث، وإن اختلفت أراؤنا، لنتفهم أسباب الخلاف".

عندئذ نكتشف أننا لا نختلف كثيرًا وإن النقاط التى لا نتفق عليها قليلة بينما النقاط التى نتفق عليها كثيرة.

سر سقراط فى التحدث:

- أثناء التحدث إلى شخص ما، لا تبدأ بمناقشة الأشياء التى تختلفان حولها بل أبدًا بالتأكيد على الأشياء التى تتفقان بشأنها.
- وأن الفرق الوحيد بينكما يكمن فى الوسيلة وليس الهدف.
- أن الحصول على التعاون "ألا تؤمن بالأفكار التى تكشفها بنفسك أكثر من تلك التى تقدم إليك على طبق من فضة.

التحدث عن أخطائك أولًا:

ليس من الصعب جدًّا أن تستمع إلى ذكر أخطائك إذا ما بدأ المتحدث بتواضع أنه ليس معصومًا عن الخطأ.

قواعد فى أدب الاختلاف:

أولًا: أنواع الاختلاف وأسبابه والاختلاف نوعان: (اختلاف مذموم، واختلاف محمود).

أ ـ الاختلاف المذموم:

وهو اختلاف تضاد، ويرجع إلى أسباب خلقية متعددة، ومن هذه الأسباب:

١- الغرور بالنفس والإعجاب بالرأى.

٢- سوء الظن والمسارعة إلى اتهام الآخرين بغير بينة.

٣- الحرص على الزعامة أو الصدارة أو المنصب.

٤- اتباع الهوى وحب الدنيا.

٥- التعصب لأقوال الأشخاص والمذاهب والطوائف.

٦- العصبية لبلد أو إقليم أو حزب أو جماعة أو قائد.

٧- قلة العلم فى صفوف كثير من المتصدرين.

٨- عدم التثبت فى نقل الأخبار وسماعها.

وهذه الأسباب وغيرها من الرذائل الأخلاقية والمهلكات هى التى ينشأ عنها اختلاف غير محمود وتفرق مذموم، وكل واحد من هذه الأسباب يطول شرحه، وسنأتى على ذكر الكثير من هذه الأسباب عند الكلام عن القواعد العلمية والأخلاقية فى أدب الخلاف.

ب ـ الاختلاف المحمود:

وهو اختلاف تنوع، وهو عبارة عن الآراء المتعددة التى تصب فى مصب واحد، ومن ذلك ما يعرف بالخلاف الصورى، والخلاف اللفظى، والخلاف الاعتبارى. وهذه الاختلافات مردها إلى أسباب فكرية، واختلاف وجهات النظر، فى بعض القضايا العلمية، كالخلاف فى فروع الشريعة، وبعض مسائل العقيدة التى لا تمس الأصول القطعية.

وكذلك الاختلافات فى بعض الأمور العملية، كالخلاف فى بعض المواقف السياسية، ومناهج الإصلاح والتغيير، ويدخل فى الخلافات الفكرية: اختلاف

obeikandi.com

الـرأى فى تقـويم بعـض المعـارف والعلـوم مثـل: علـم الكـلام والمنطـق والفلـسفة والتصوف، والاختلاف فى تقويم الأحداث التاريخية وبعـض الشخـصيات التاريخيـة والعلمية.

وهذا الخلاف ليس فيه مذمة، وإنـما الـذم فى عـدم مراعـاة آداب الخـلاف العمليـة والأخلاقية.

وجود الخلاف فى عصر الأئمة وكبار التابعين:

لقد كان الخلاف موجودًا فى عصر الأئمة الكبـار: أبـى حنيفـة ومالـك والـشافعى وأحمد والثورى والأوزاعى وغيرهم. ولم يحاول أحد منهم أن يحمل الآخرين على رأيه أو يتهمهم فى عملهم أو دينهم من أجل مخالفتهم.

بل كان الخلاف موجودًا فى عصر شـيوخ الأئمـة وشـيوخ شـيوخهم مـن التـابعين الكبار والصغار، بل كـان الخـلاف موجـودًا فى عـصـر الـصحابـة نظـرًا لاخـتلاف إفهامهـم وتفسيرهـم للنصـوص. بل إن الخلاف وجـد فى عهـد النبـى ﷺ، فأقـره ولم ينكره، كما فى قـضية صـلاة العـصر فى بنـى قريظـة، وهـى مـشهورة، وفى غيرهـا مـن القضايا.

ثانيًا: الاختلاف فى الفروع ضرورة ورحمة وسعة:

أ ـ الاختلاف ضرورة:

الاختلاف فى فهم الأحكام الـشرعية غـير الأساسـية ضرورة لا بـد منهـا، بـسبب طبيعة الدين، واللغة، وطبيعة الكون والحياة.

فأما طبيعة الدين: فقد أراد الله أن يكون فى أحكامـه المنـصوص عليـه والمـسكوت عنه، وأن يكون فى المنصوص عليه: المحكمات والمتـشابهات، والقطعيـات والظنيـات، والصريح والمؤول، لتعمل العقول فى الاجتهاد والاستنباط، فيما يقبل الاجتهـاد. ولـو شاء الله لأنزل كتابه كله نصوصًا محكمة قطعية الدلالـة، لا تختلـف فيهـا الإفهـام، ولا تتعدد التفسيرات. ولكنه لم يفعل ذلك لتتفق طبيعة الدين مـع طبيعـة اللغـة، وطبيعـة الناس وضروريات الزمن.

وأما طبيعة اللغة: فإن نصوص القرآن والسنة، جاءت على وفق ما تقتضيه اللغـة فى

المفردات والتراكيب، ففيها اللفظ المشترك الذى يحتمل أكثر من معنى، وفيها ما يحتمل الحقيقة والمجاز، والعام والخاص، والمطلق والمقيد.

وأما طبيعة البشر: فقد خلقهم الله مختلفين، فكل إنسان له شخصيته المستقلة، وتفكيره المتميز، وميوله الخاصة، ومن العبث صب الناس فى قالب واحد، ومحو كل اختلاف بينهم، فهذا أمر مخالف للفطرة التى فطر الله عليها الناس.

وأما طبيعة الكون والحياة: فالكون الذى نعيش فى جزء صغير منه، خلقه الله ـ سبحانه ـ مختلف الأنواع والصور والألوان، وهذا الاختلاف ليس اختلاف تضارب وتناقض بل هو اختلاف تنوع، وكذلك طبيعة الحياة، فهى أيضًا تختلف وتتغير بحسب مؤثرات متعددة، فى المكان والزمان، فالخلاف سنة كونية اقتضتها الحكمة الإلهية، قال الله ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [سورة هود: ١١٨] وفى الأثر: "لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا".

ب ـ الاختلاف رحمة:

الاختلاف مع كونه ضرورة، هو كذلك رحمة بالأمة وتوسعة عليها ولهذا اجتهد الصحابة واختلفوا فى أمور جزئية كثيرة، ولم يضيقوا ذرعا بذلك بل نجد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز يقول عن اختلاف الصحابة ﷺ: "ما يسرنى أن أصحاب رسول الله كانوا يختلفون فى بعض آرائهم، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن لنا رخصة". فهم باختلافهم أتاحوا لنا فرصة الاختيار من أقوالهم واجتهاداتهم، كما أنهم سنوا لنا سنة الاختلاف فى القضايا الاجتهادية، وظلوا معها إخوة متحابين.

ج ـ الاختلاف ثروة:

اختلاف الآراء الاجتهادية يثرى الفقه، وينمو ويتسع، لأن كل رأى يستند إلى أدلة واعتبارات شرعية، وبهذا التعدد والتنوع تتسع الثروة الفقهية التشريعية، وإن تعدد المذاهب الفقهية وكثرة الأقوال كنوز لا يقدر قدرها وثروة لا يعرف قيمتها إلا أهل العلم والبحث، فقد يكون بعضها أكثر ملائمة لزمان ومكان من غيره.

خصائص اللا حوار (الحوار غير الإيجابى):

١ - **الصراخ**: لكى أثبت وجهة نظرى الضعيفة (أقصد بضعيفة أن لا دليل قوى عليها رغم أنها قد تكون صحيحة مائة بالمائة).

٢- **الشتائم**: توجيه الشتيمة للغير على أنهم لا يفهمون بسبب عدم تقبلهم لفكرتى.

٣- **المقاطعة فى الحديث**: واستقبال الحديث القاطع بكلمة "لا" أو عبارة "الله يخليك" أو غيرها من عبارات الرفض والشتيمة.

٤- **استخدام القوة**: أن أكون فى منصب أكبر من منصب الشخص الذى أتحادث معه فأرفض سماع فكرته واستغل أنه لأدبه وخجله لن يستطيع أن يخالفنى علنًا.

٥- **التهديد والوعيد**: مثلًا قد لا أجد شيئًا أحبه فى منتدى ما، فبدلًا من أن أبحث عن دليل قوى على صحة كلامى وخطأ كلام الآخرين أكتفى بقولى: "اسحبوا كلامكم أو أنسحب من المنتدى!!!!!".

٦- **التهديد من الدرجة الأولى**: فى بعض الأحيان تتحدث بعض الناس مع بعضهم عن سبب مشكلة أو موضوع معين فيأتى المسئول "فيكتفى بالقول: "إن لم تصمتوا رفعت عليكم قضية فى المحكمة!!!".

٧- **سد الأذنين أثناء حديث الآخر**: أى عدم الإنصات أو الاستماع للشخص الآخر.

٨- **الكذب**: وهذا أسوأ ما يمكن وجوده فى اللاحوار حيث يكذب الكاذب من أجل أن يخدع الشخص الآخر أثناء الحوار.

الحريات الأساسية التى يجب أن يتمتع بها الفرد:

١- حرية الفكر:

إن حرية الفكر من أهم الحريات الأساسية التى يجب أن يتمتع بها الفرد فإن الإسلام لا يجعل الحرية من المباحات التى يباشرها من شاء ويتركها من شاء. أما لغير المسلم له حرية الرأى فى الأمور الدينية بالنسبة له.

٢- حرية الرأى فى الأمور الدنيوية:

أبرز ما تكون فى الأمور السياسية منها والاجتماعية كما تكون غيرها من الأمور كالمسائل العلمية.

فقد أباح الإسلام للناس أن يبدو أرائهم فى الشئون العامة والتفكير فى شئون الدولة بل دعاهم إلى المجاهدة بإبداء أرائهم إلى أن يقول الحق مهما كانت الظروف فعن الرسول ﷺ قال: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يتغيرون إلا وشك أن يعمهم الله بعقاب) (أبو داود).

وقد سار الخلفاء الراشدون معظم أمراء المسلمين على تشجيع حرية الرأى وقبول النصيحة من الآخرين.

ولقد طلب القرآن الكريم منذ بادى الأمر من الناس أن يستعملوا عقولهم ويفكروا أى طلب أولًا القيام بالتفكير والتدبر وقال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[سورة الروم: ٨١].

٣- الحرية الدينية:

أكدت التجارب البشرية أن الإيمان أو الاعتقاد يأتى وليد يقظة عقلية وإقناع قلبى ويقول الإمام (محمد الغزالى) أن الحرية الدينية التى كفلها الإسلام لأهل الأرض لم يعرف لها نظير فى القارات ولم يحدث انفراد دين بالسلطة واحترام الديانات السماوية وقبول مبدأ التعايش السلمى معها وأن الإسلام يحترم الديانات الأخرى والتعايش معها فى سلام وأمان.

٤- حرية إبداء الرأى:

إن حرية الرأى تعد بمثابة العمود الفقرى للحريات الفكرية لأنه من حق الإنسان أن يفكر فيها يكتنفه من شئون وما يقع تحت إدراكه من ظواهر وأن يعطى بما يهديه إليه فكرة ويكون عقيدته الداخلية فكريا بصورة مستقلة ومختارة فإن حقه من التعبير عن أفكاره وأرائه ومعتقداته ونقلها إلى الوجود الخارجى بما يمكن الإنسان من أن يصبح متمتعًا بحرية إبداء الرأى.

شرعية الاختلاف والحوار فى الإسلام:

يقرر الإسلام الاختلاف كحقيقة إنسانية طبيعية، ويتعامل معها على هذا الأساس. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن

﴿ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة يونس: ١٩]، أى أن اختلافاتهم على تعددها لا تلغى الوحدة الإنسانية. تقوم هذه الوحدة على الاختلاف، وليس على التماثل أو التطابق. ذلك إن الاختلاف آية من آيات عظمة الله، ومظهر من مظاهر روعة إبداعه فى الخلق. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [سورة الروم: ٢٢].

والقاعدة الإسلامية كما حددها الرسول محمد ﷺ: هى أن لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. وبالتالى فإن الاختلاف العرقى لا يشكل قاعدة لأفضلية ولا لدونية. فهو اختلاف فى إطار الأمة الإنسانية الواحدة، يحتم احترام الآخر كما هو على الصورة التى خلقه الله عليها. وإذا كان احترام الآخر كما هو لونًا ولسانًا يشكل قاعدة من قواعد السلوك الدينى فى الإسلام، فإن احترامه كما هو عقيدة وإيمانًا هو احترام لمبدأ حرية الاختيار والتزام بقاعدة عدم الإكراه فى الدين. قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٨].

وفى إشارة واضحة إلى تعدد التوجهات قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة ١٤٥] ذلك أنه مع اختلاف الألسن والألوان كان من طبيعة رحمة الله اختلاف الشرائع والمناهج. ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [سورة هود: ١١٨].

أرسى الله تعالى فى القرآن الكريم قواعد واضحة للاعتراف بالآخر وبوجهة نظره إجلاء للحقيقة، وفى مقدمة ذلك، الحقيقة الإلهية. فى حوار الله والشيطان، كما ورد فى سورة الأعراف، (الآيات من ١٠ إلى ٢٤) من خلال هذا الحوار الإلهى مع الشيطان ما كان لهذا الحوار أن يقوم من دون وجود الآخر. وفى حوار الأنبياء مع الناس، تبرز حقيقة التربية الإلهية، فى قصة أوس بن الصامت وخولة بنت ثعلبة: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة: ١].

إن الحوار يتطلب وجود تباينات واختلافات فى الموقع وفى الفكر وفى الاجتهاد وفى الرؤى، وفى ذلك انعكاس طبيعى للتنوع الذى يعتبر فى حد ذاته آية من آيات القدرة

الإلهية على الخلق. لقد اهتم الإسلام بالحوار اهتمامًا كبيرًا، وذلك لأن الإسلام يرى بأن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إلى الحوار أو الجدل كما يطلق عليه الله تعالى فى القرآن الكريم فى وصفه للإنسان: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [سورة الكهف: ٥٤] بل إن صفة الحوار لدى الإنسان فى نظر الإسلام تمتد حتى إلى ما بعد الموت، إلى يوم الحساب كما جاء فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ من خلال ذلك نرى أن الحوار لدى الإنسان فى نظر الإسلام صفة متلازمة معه تلازم العقل به؛ ولهذا فقد حدد الإسلام المنطلق أو الهدف الحقيقى الصادق الذى ينطلق منه المسلم فى حواره مع الآخرين، فالإسلام يرى بأن المنطق الحقيقى للحوار هو ضرورة البحث عن الحق ولزوم اتباعه، إن وحدة الجنس أو اللون أو اللغة ليست ضرورة حتمية لا يتحقق التفاهم من دونها؛ لذلك لا بد، من أجل إقامة علاقات مبنية على المحبة والاحترام، من الحوار على قاعدة هذه الاختلافات، والتى يتكشف للعلم أنها موجودة حتى فى الجينات الوراثية التى تشكل بعناصرها شخصية كل منا وتمايزاتها. إن للحوار فى شرعة الإسلام قواعده وآدابه. ولعل من أبرزها: ما ورد فى سورة سبأ. كان الرسول محمد ﷺ يحاور غير المؤمنين شارحًا ومبينًا ومبلغًا.

والحوار من أهم وسائل التفاهم بين الناس، وهو من أهم وسائل المعرفة والإقناع مهما كانت الثقافات والتوجهات، وكذلك من أهم وسائل الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

ومن هنا كانت الضرورة ملحة للقائمين على الدعوة الإسلامية أن يتقنوا فن الحوار من أجل الوصول إلى قلوب البشر والتأثير فيها نحو الفضيلة والاستقامة.

وقد اهتم النبى ﷺ بأسلوب الحوار، وجعل منه منهجًا فى خطاباته للناس ودعوته لهم، لما له من أثر وتأثير بالغين فى نفوس المدعوين وعقولهم، ولما له من تحفيز على الطاعات وترك للمعاصى، ولما فيه من توجيه تربوى لكل الدعاة والمربين.

ومن أبرز حواراته ﷺ تلك التى كانت بينه وبين قومه المشركين ما يروى ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة كان فى نادى قريش فقال: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال:

يا بن أخى إنك منا حيث قد علمت من الشرف فى العشيرة والمكانة فى النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع.... قال: يا بن أخى، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنًا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان الذى يأتيك رئيًّا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فقال له رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم... قال: فاسمع منى، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، ومضى رسول الله ﷺ فى القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكف عن القراءة، وذلك خوفًا مما تضمنته الآية من تهديد.

ثم عاد عتبة إلى أصحابه، فلما جلس بينهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائى أنى سمعت قولًا ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم.

ثمّ إن أشراف قريش عادوا فكرروا المحاولة التى قام بها عتبة بن ربيعة، فذهبوا إليه مجتمعين، وعرضوا عليه الزعامة والمال، وعرضوا عليه الطب إن كان الذى يأتيه رئيًّا من الجان.

فقال رسول الله ﷺ: ما بى ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولًا، وأنزل علىّ كتابًا، وأمرنى أن أكون بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه إلى أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم.

وبهذا ندرك أن الحوار وسيلة فعَّالة فى حياة النبى ﷺ وهو الأسلوب الأمثل الذى كان يؤثر به فى نفوس أعدائه، يستدرجهم بهذا الحوار حتى يصل بهم إلى القناعة.

وإن الحوار الذى وقع فى صلح الحديبية بين النبى ﷺ ورجال من قريش يمثلون وفودًا للتفاوض مع النبى ﷺ وكان على رأسهم بديل بن ورقاء الخزاعى، ومنهم عروة بن مسعود، ومنهم سهيل بن عَمْرٍ الذى كتب الصلح مع النبى ﷺ، كل ذلك قد مثل فتحًا مبينًا للإسلام والمسلمين.

وهناك الكثير من الأمثلة من سيرته ﷺ من نماذج الحوار التى كان يمارسها فى كل الميادين والآفاق، سواء فى دعوته أو معاملاته أو أساليب إقناعه، أو مع أصحابه أو أعدائه، أو فى السلم أو الحرب، أو فى الرضا أو الغضب.

اخلاقيات الأسلوب فى الحوار الدينى

١- الموضوعية فى الحوار والتحرّر من المؤثرات الجانبية التى تبعدك عن طريق الوصول إلى الحقيقة:

إن النبى ﷺ كان يحاور المشركين ليقودهم إلى الإقرار بالحقيقة من خلال تجميده لقناعاته: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سورة سبأ: ٢٤].

فرغم أن النبى ﷺ على (هُدى مُبين) ولديه (كتاب مبين) وأكثر الناس معرفة بـ (الضلال المبين) لكنّه يطالب محاوريه بالابتداء من نقطة الصفر وتناسى الخلفيات الفكرية والعقيدية، حتى يكون الحوار متحررًا من أى عامل خارجى.

ولأجل أن نضع ذلك فى إطاره الواقعى، فإننا لا يمكن أن ننكر أو نتجاهل خلفياتنا الفكرية، فالمسلم يحاور وهو يحمل فكر الإسلام فى داخله، والكافر يحاور وهو يحمل آراءه فى ذهنه، ولكنّ المراد من تجميد القناعات السير بالحوار خطوة خطوة وذلك باستدراج العقل إلى ساحة الحقيقة دون ضغط وإنّما بإدراك أن هذا الذى يقوله الآخر ذو حجّة بالغة وبرهان ساطع ودلائل مقنعة.

وقد تكون المؤثرات نفسية تنطلق من الحب والبغض والمزاج والتعصب.. ولو تابعت جميع حوارات النبى ﷺ لرأيت أنه كان يحاور الكافرين والمشركين وأبناء الديانات الأخرى بحب، أى أنه لم يكن يكرههم ولكنه يكره كفرهم

وشركهم ونفاقهم، فيعمل ـ من خلال الحوار ـ على تخليصهم من هذه الانحرافات.

٢- روحية الانفتاح والمرونة:

افتح قلبك لمحاورك.. وقد قيل إنك إذا أردت أن تفتح عقله فافتح قلبه أولًا، فالحقد والبغضاء أبواب موصدة وأقفال صدئة لا تفتح عقلًا ولا قلبًا ولا أذنًا.

لا تتهمه بشيء.. ولا تحمل كلماته محمل السوء، فقد نسب لعمر بن الخطاب (ونسب أيضًا لعلى بن أبى طالب) قوله: **"ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ مَا يَغْلِبُكَ مِنْهُ"**.

فالقاعدة الإسلامية فى التعامل مع الآخرين سواء فى الحوار أو فى غيره، هى أن تحمل أقوالهم وأفعالهم على الصحّة، ولا تلجأ إلى الاحتمالات السيِّئة.

وقد نسب عمر بن الخطاب "ونسب أيضًا لعلى بن أبى طالب": (لَا تَظُنَّنَّ كَلِمَةً خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ سُوءًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِى الخَيْرِ مَحْمَلًا).

٣- التركيز على نقاط الاتفاق:

الحوارات التى تبدأ بمناقشة نقاط الاختلاف والتوتر، أو ما يسمّى بالنقاط الحادة والساخنة حوارات كتبت على نفسها الفشل سلفًا. فلا تسقط الحوار بإثارة مشاعر محاورك فى نقاط الاختلاف، وإنما أكد على نقاط الالتقاء أو ما يسمى بـ (الأرضية المشتركة) حتى تمهد الطريق لحوار موضوعى ناجح.

والقرآن الكريم يضع هذه القاعدة الحوارية المهمة فى صيغة الآية الكريمة: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤].

٤- أدب الحوار:

وأدب الحوار ـ كما قلنا ـ هو جزء من أخلاقية الحوار، ويستدعى مراعاة الأمور التالية:

أولًا: استخدام اللغة المهذبة:

فالكلمات التى تندرج تحت عنوان الشتائم والسباب والتشهير، ليست كلمات

جارحة ونابية فقط، وإنما كلمات هدامة لا تبقى مجالًا للحوار ولجسوره بل تنسفها نسفًا. ولذا قال الله تعالى وهو يعلّمنا لغة التهذيب حتى مع المسيئين: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨].

ثانيًا: استخدام اللغة الرقيقة اللينة:

فالكلمات التى بين يديك فيها (حسن) وفيها (أحسن).. الأحسن ما أمكنك ذلك لأنه يعمّق العلاقة النفسية والفكرية مع محاورك. ولذا فإن الله سبحانه وتعالى حينما طلب من موسى وهارون (عليهما السلام) أن يحاورا الطاغية فرعون، قال لهما) ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٣-٤٤]، أى استعملا فى حواركما معه لغة شفافة فيها لطف وليس فيها عنف. ذلك أن الكلمات الجافة والقاسية توصد أبواب الاستجابة وتغلق طريق الحوار، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

ثالثًا: احترم رأى محاورك:

لأن ذلك يخلق حالة من الانفتاح على الأفكار المطروحة للنقاش. وأعلم أن احترام الرأى غير احترام الشخص، فقد تحاور إنسانًا ضالًا وقد تحترم بعض آرائه، أى أنك لا تستخف بها فتجعله يسخف آراءك أيضًا، لكن الاحترام فى الحوار هو جزء من أدب الحوار ولا يعنى تبنى واعتناق تلك الأفكار.

آداب الحوار فى الإسلام

للحديث مع الغير فى الإسلام أصول وآداب ينبغى للمسلم مراعاتها حتى يكون المرء ملتزمًا حدود الله.

- فكم من حوار بين الزوج وزوجته لم يراع فيه أصول الحوار وأدابه كانت نهايته الطلاق.
- وكم من حوار نزع الشيطان فيه المرء وصاحبه فكانت عاقبته الفراق.

وهناك خمس آداب للحوار فى الإسلام.. كما ذكر بعض العلماء هى:

١- **أن يكون الكلام هادفًا إلى الخير:** وفى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت).

٢- **البعد عن الخوض فى الباطل والمراد بالباطل معصية:** فالحديث فى الأغانى

والطرب على سبيل الأعجاب هذا من الخوض فى الباطل والحديث فى أعراض المسلمين بالغيب والنميمة هذا الخوض فى الباطل.

٣- **البعد عن الجدل**: كم من قلوب تشتت بسبب الجدل الذى لا طائل منه ولا فائدة من ورائه يقصد منه إلا ظهار الخلل فى كلامه أو فعله أو قصده.

٤- **أن يخاطب كل إنسان بما يناسبه شرعا وعرفًا**: فيخاطب الوالدين بالرحمة والإجلال وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣].

٥- **البعد عن عبارات المدح للنفس**: أو للغير إلا بالضوابط الشرعية فقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [سورة النجم: ٣٢].

أهم ضوابط الحوار فى الإسلام.. وأسسة

١- القبول بتعدد الثقافات والتعارف بينهما:

يربى الإسلام المسلمين على أن الحوار طبيعة إنسانية وهو ضرورة دينية ورسالة الرسل جميعًا وهو واجب على كل أتباع محمد ﷺ ومصدقًا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]. فالمسلم منفتح على الحوار مع غيره من الأفراد والثقافات ولكنه فى ذات الوقت له ثوابته التى يتمسك بها ومنطلقاته التى يصدر عنها كما أن الثقافة الإسلامية تسمح بوجود مصطلحات متقابلة مثل (الإيمان، الكفر، الجنة والنار، الدنيا والآخرة.. الخ) وهذه المصطلحات تقسم الفكر والثقافة بين المسلمين وغير المسلمين.

والإسلام يؤمن بأن كل ثقافة تطرح من خلال مفاهيمها ومصطلحاتها وبالتالى فإن الحوار بين ثقافتين أو أكثر يقتضى الاتفاق على مضامين وتحديد المرجعية التى يعود لها عند الاختلاف فى المعنى أو المضمون.

٢- التواضع فى طلب الحق والالتزام به:

أثبتت التجارب أن التواضع فضيلة تهدى صاحبها إلى الحق أما الغرور فيصد عن الحق البين الظاهر وقد ورد عن الرسول ﷺ فى ـ صحيح مسلم ـ قوله "الكبر بطر الحق وغمط الناس" (وبطر الحق معناها رده والإعراض عنه) وكما أخبرنا الخالق ـ جل

وعلى ـ أن معصية إبليس كان الدافع لها الكبر والغرور ـ قال تعالى ـ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣٤].... ولما سأله الخالق ـ جل وعلى ـ عن السبب قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [سورة النمل: ٦٤].

فالمحاور المسلم لا يقبل الدخول فى الجدال المذموم عند إثارة أى فكرة أمامه فذلك عبث وجهد ضائع ويسعى لإغلاق أبواب الحوار التى تدخل بالمحاورين إلى المتاهات ويوجه الفكرة التى تظهر الحق وتساعد على بناء حياة كريمة قائمة على مد الجسور بين البشر وصولا للخير والنفع له، وقد أثبت لنا التاريخ أن الأطراف المتحاورة إذا كانت من أهل الإنصاف فإنها تعترف بالحق عند ثبوته وجاء ذلك فيما يلى:

- رسالة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ فى القضاء والتى جاء فيها: **(ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، فهديت فيه إلى رشدك، أن تراجع نفسك اليوم فإن الحق قديم، وأن الرجوع إلى الحق خيرًا من التمادى فى الباطل)**.
- أن تكون هناك فرصة للحوار المتكافئ فلا يشعر طرف بالقهر أو الضعف.

٣- عدم إتباع الهوى ومحاربة الفساد:

الهوى هو أحد المزالق الخطرة التى يمكن أن تؤثر على المتحاورين وتخرجهم عن طريق الخير وهو يؤدى إلى الفساد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١].

فصاحب الهوى يريد إخضاع كل شىء لهواه والنصوص لديه متبوعة والأدلة خادمة لا مخدومة والنتائج عنده سابقة على الحوار.

ويطالب الإسلام المتحاورين من أبنائه أن يعملوا مع غيرهم على محاربة الفساد وإشاعة الخير والأخلاق الفاضلة فى الأرض، قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [سورة النساء: ١١٤].

٤- تقدير الخصم واحترامه:

وهذه مهمة جدًا وبقدر ما تكون صادقًا فى التقدير يظهر هذا على سلوكك وأسلوبك وكلامك وحديثك، فينبغى فى مجلس الحوار التأكيد على الاحترام المتبادل من الأطراف، وإعطاء كل ذى حق حقه، والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيخاطب

بالعبارات اللائقة وبالألقاب المستحقة والأساليب المهذبة، فتبادل الاحترام يقود إلى قبول الحق، والبعد عن الهوى، والانتصار للنفس.

٥- الإخلاص فى النية والتزام الصدق:

يجب على المُحاور أن يوطِّن نفسه، ويُروِّضها على الإخلاص لله فى كل ما يأتى وما يدور فى الحوار ولا نقصد بجواره المباهاة والمفاخرة والانتصار للذات أوجب الظهور والشهرة. كما يجب الالتزام بالصدق بأن يكون الحوار بينهم قائمًا على الصدق وتحدى الحقيقة بعيدًا عن الكذب والأوهام.

ولقد ساق القرآن الكريم ألوانًا من المحاورات التى دارت بين الرسل وأقوامهم، وبين المصلحين والمفسدين وعندما تتدبرها ترى الأخيار فيها لا ينتطقون إلا بالصدق الذى يدمغ الأكاذيب وبالحق الذى يزهق الباطل.

٦- الكلمة الطيبة صدقة:

"الكلمة الطيبة صدقة" عبارة وردت من الرسول الأعظم ﷺ ناصحًا أمته بحلو الكلام وأطيبه لأن الكلمة تؤثر وتشفى أو تجرح وترفع الذات أو تقلل من قدرها وهى مؤثر فعال وفورى فى الناس على اختلاف أوضاعهم وكلما اخترنا الكلمة الصحيحة جدًا والطيبة يصبح التأثير الناجم عنها سريعًا وكأنه ماس كهربائى يسرى فى البدن ويؤثر على الروح والكلمات هى ما تستخدم دائمًا للإفصاح عن أنبل المشاعر أو للتعبير عن أعمق الرغبات وهى التى تضحكنا أو تبكينا وهى التى تسعدنا أو تشفينا.

كما كان النبى ﷺ مثالًا للمحاور الرائع تشهد بذلك أفعاله قبل أقواله.

وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا".

"ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب".

"الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها".

"تبسمك فى وجه أخيك صدقة". صدق رسول الله ﷺ.

٧- التزام الموضوعية:

وهى تعنى بها عدم الخروج عن الموضوع الذى هو محل النزاع أو الخلاف فإن آفة كثير من الناس أنهم إذا ناقشوا غيرهم فى موضوع معين تعمدوا أن يسلكوا ما يسمى

فى هذه الأيام بخلط الأوراق بحيث لا يدرى العقلاء فى أى شىء هم مختلفون مع غيرهم وتتوه الحقيقة فى خصم هذه الفروع التى لا تكاد تعرف لها أصلًا إنك تقرأ القرآن الكريم فترى كثيرًا من المجادلات والمحاورات والخلافات التى دارت بين الرسل عليهم الصلاة والسلام. وبين أقوامهم وترى أن الرسل عليهم الصلاة والسلام كان جوابهم على مخالفيهم منتزعًا من أقوال هؤلاء المخالفين دون أى خروج عن موضوع النزاع.

والقرآن الكريم يوضح لنا ذلك فى قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

إن أعداء الحق جادلوا النبى الكريم فى كثير من القضايا وساق القرآن الكريم شبهاتهم بأمانه ثم لقن النبى الكريم الجواب الذى يقطع دابر هذه الشبهات وكان هذا الجواب منتزعًا من واقع كلامهم نجد فيه الرد الحاسم والقول الفصل والجواب الذى يهدم دعاوى المبطلين من أساسها دون خلط للأوراق ودون خروج عن موضوع الخلاف. وليت الذين يختلفون مع غيرهم يسلكون هذا الطريق الحكيم ألا وهو الالتزام بالموضوعية عند خلافهم مع غيرهم فى مسألة من المسائل الدينية أو الدنيوية.

٨- إقامة الحجة بالمنطق السليم:

كذلك من المبادئ والآداب التى جاءت بها الشريعة الإسلامية لقطع الخلاف. أبراز الدليل الناصع والبرهان الساطع والمنطق السليم الذى يعطى المكابر أو المعاند حجًا ويجعله لا يستطيع أن يمضى فى جداله وترى ذلك من خلال الحوار الذى دار بين إبراهيم عليه السلام والملك الجبار حين قال له الملك "أنا أحى وأميت".

ولقد كان فى استطاعة إبراهيم عليه السلام أن يبطل قوله بأن ما يدعيه ليس من باب الإحياء والإماتة فى شىء ولكنه من باب الظلم والعدوان ولكن إبراهيم عليه السلام لم يفعل ذلك بل أثر تلك المجادلة فى هذا الشأن وأتاه بالحجة التى لا مجال معها للمكابرة فقال له "فأن الله يأتى بالشمس من المشرق فآت بها أنت من المغرب" فكانت نتيجة هذه الحجة على خصمه كما قال القرآن الكريم ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ والعقلاء

دائمًا عندما تتضح لهم الحجة ويظهر لهم البرهان ويرون الدليل الساطع على صحة المسألة يقتنعون بذلك ويعترفون بالحق أما السفهاء والجهلاء فأنهم يصرون على باطلهم مع علمهم به لسوء نواياهم وضعف عقولهم.

إذن ق تبتلى أحيانًا بمحاور لا يجدى معه منطق ولا حجة إما لقلة إدراكه أو لعدم اهتمامه أو لأنه يجادل فى توافه الأمور فحينئذ تجنب منطق العقل جانبًا وحاور بحنان وعاطفة كأسلوب مهذب فى إنهاء الحوار. وليس شرطًا لإنهاء الحوار أن يزعن أحد الطرفين للآخر فربما توصلا إلى أن قول كل واحد مهما صحيحًا أو يسعه الخلاف فحينذاك يكون الحوار قد بلغ مصدره. ويجب أن يكون إيقاف الحوار بطريقة مهذبة ذكية ليس فيها معنى العجز ولا الهزيمة بل اعتداد الواثق المؤدب.

٩- أن يكون الهدف الوصول إلى الحقيقة:

وأيضًا من المبادئ والآداب التى جاءت بها الشريعة الإسلامية لضبط الخلاف بين الناس أن يقصد كل طرف من أطراف الخلاف إظهار الحق والصواب فى الموضوع الذى هو موضع الاختلاف حتى لو كان هذا الإظهار على يد الطرف المخالف وهذا ما نراه واضحًا فى اختلاف الصحابة وفى محاوراتهم فى كثير من القضايا.

١٠- إعطاء المعارض حقه فى التعبير:

كذلك من التوجيهات الحكيمة التى قدرتها شريعة الإسلام لتنظيم النقاشات التى تنتشر بين الناس إفساح المجال أمام النقاش أو المعارض لغيره لكى يعبر عن وجهة نظره دون مصادره لقوله أو إساءة إلى شخصه وفى الوقت ذاته إعطاء الحرية للجانب الآخر لكى يرد على المخالف له بأسلوب مهذب وبمنطق سليم وبأدب جم وبحرص تام على تبادل الاحترام فيما بينهما.

١١- احترام الرأى الصائب:

من أسمى وأشرف ألوان أدب الحوار فى الإسلام احترام رأى العقلاء الذين ينطقون بالكلمة الطيبة وبالحجة المقنعة ويسلكون السلوك الحميد فى أعمالهم ويعفون عن كل ما يتنافى مع مكارم الأخلاق مما يشهد بنقاء نفوسهم وطهارة قلوبهم وعلو همهتم وصفاء معدنهم.

وفى الحديث الشريف "الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا" وهذا الاحترام لرأى العقلاء المخلصين ينبغى أن يتحلى به كل إنسان سليم الوجدان حتى لو خالفوه فى رأيه لأن هذه المخالفة من العقلاء لغيرهم لم تصدر منهم عن سوء نيه أو عن منفعة شخصية وإنما صدرت منهم هذه المخالفة فى الرأى لغيرهم من أجل الوصول إلى الحقيقة التى تعود خيرها إلى الأفراد والجماعات.

١٢- الحرية فى إبداء الرأى مع حق الدفاع عن وجهة النظر:

وهذا حق للطرفين المتحاورين لأنه لا يجوز لأحدهما أن يمثل إرهابًا فكريًّا يضيّق به آفاق الحوار، ويقتل المواهب والملكات، ولذا يجب تجنب محاورة ذى هيبة لأن ذلك يؤثر على روح الحوار وغايته المرجوّة.

١٣- العدل والإنصاف والتزام الصدق:

فلا بد للمحاور حتى يحقق هدفه بنزاهة وموضوعية أن يتحلى بالعدل والإنصاف والصدق مع نفسه ومع خصمه، ولا يخضع لتأثير هوى الذات أو الحزب أو الجماعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ بل يجب على المحاور إن ظهر الحق على لسان خصمه أن يأخذ به ولا تأخذه العزة بالإثم، ويرفض هذا الحق، وقد قال الرسول ﷺ: "الكبر بطر الحق وغمْط الناس".

١٤- أن يكون المحاور عالمًا بموضوع الحوار:

فلا يدفعه الجهل والمزاج فى سباحة بحر لم يُكلِّف بسباحته، فذلك يؤدى إلى هلاكه فى العاجل والآجل، وقد يضيّع الحق بسبب جهله بموضوع الحوار، فالعلم بالشىء بصيرة به، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٥- الالتزام بالطرق الاقناعية الصحيحة:

وذلك بالبعد عن المغالطات والمراء والسخرية، وعلى المحاور ألا يناقض نفسه من خلال أدلته، بل عليه أن يستعمل الحجة القوية المقنعة، مع إتباع المنهجية العلمية فى الحوار وذلك بوضوح هدفه قبل إجرائه، والبدء فى العموميات، والانتهاء بالجزيئات، مع اتساق الأفكار التى يعرضها، وإصلاح المنطق وتهذيبه، والتسليم بالأمور التى هى من المسلمات، مع قبول النتائج التى تم التوصل إليها بالأدلة القاطعة.

قال تعالى على لسان موسى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾.

١٧- اعتماد المحاورة بمودة واحترام:

فالمودة والاحترام يخلقان جوًا من الحوار الهادف البنّاء، أما استصغار الخصم المحاور والتهاون به يولد جوًا من العنف وردود الفعل التى لا تحمد عقباها، وإذا تعكر مزاج المحاور فقد فسد الحوار، وانقلب ذلك إلى الطعن والتجريح والإساءة، ولذلك فقد رغب النبى ﷺ فى الرفق، فقال: "إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شأنه".

١٨- الحوار لا يفسد للود قضية:

إذا تم الالتزام بكل آداب الحوار ـ سالفة الذكر ـ فإن القلوب تبقى على صفائها وودها، أما إذا تم التجاوز باستفزاز الخصم والتهكم به وبرأيه وأدلته، ولم تقم لذلك وزنًا فسيقابلك بمثل ذلك، ومن هنا تفسد المودة وتسوء العلاقة وتنقطع الأواصر، ويغيب هدف الحوار وهو بلوغ الحق.

١٩- عدم إسقاط الآخر:

ويقصد به عدم إسقاط شخص أو شخصية أو فكر الآخر، وهو من أهم الأمور التى لا بد أن ينظر إليها الشخص لأن الإسقاط يؤدى إلى نتائج سلبية قد يصل الأثر فيها إلى الموضوع والآخرين أيضًا.

والقرآن الكريم يوجهنا إلى ضرورة مراعاة هذا الإلزام الأدبى مهما كان لون أو نوع الطرف الآخر ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فالقرآن الكريم يركز على غرس هذا المفهوم فى عمق الحوار كضرورة تلازم الإنسان للتعايش مع الآخرين.

٢٠- احترام رأى محاورك:

ومن بديع احترام رأى الآخرين، ما ينقل عن الإمام مالك: أنه لما ألف كتابه الموطأ، ومكث أربعين سنة يؤلفه، وقرئ عليه آلاف المرات، وعرضه على سبعين من العلماء فأقروه عليه، وتعب فيه أيما تعب، ومع ذلك لما بلغ الخليفة المنصور كتاب مالك

وأعجبه، وقال: إنا نريد أن نعممه على الامصار، ونأمرهم بإتباعه؛ قال له الإمام مالك: لا تفعل ـ رحمك الله ـ فإن الناس سبقت منهم أقاويل، وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وما أتوا به، وعملوا بذلك ودانوا به وكل ذلك من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ، ثم من بعدهم من التابعين، ورد الناس عما اعتقدوه ودانوا به أمر صعب شديد، فدع الناس وما هم عليه، ودع أهل كل بلد وما اختاروا لأنفسهم.

٢١- عدم تهويل مقالة الطرف الآخر، والاعتداء فى وصفه:

وفى ذلك إقتداءً برسول الله ﷺ ففى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ﷺ أنه قال: (لم يكن النبى ﷺ فاحشًا ومتفحشًا) وكان يقول: (إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا).

obeikandl.com